

من مظاهر التكرار في القرآن الكريم

د. محمد زوين

توطئة :

لعل من حسن الطالع بعد ان توقفت في بحثي السابق (الدعاء في القرآن الكريم) (١) ان أوفق مرة أخرى فانهل من فيض كتاب الله العزيز، وتخط الأنامل شيئاً عن موضوع جدير بالدراسة والتتبع، وهو ظاهرة التكرار في القرآن الكريم. ولما كان التكرار واسعاً ومتعددًا في كتاب الله المجيد، ارتأيت ان التمس بعضاً من مظاهره في هذه الوريقات، والتي من المفيد ان نذكر فيها، ان موضوع التكرار قد تناوله البلاغيون القدماء (٢) واشادوا بمكانته من البلاغة (٣)، ونبهوا على مواضعه في كلام العرب من جهة، ومجيبه في القرآن الكريم من جهة أخرى، ولكن اللافت للنظر ان دراسة التكرار في القرآن المجيد لم تحظ بالعناية التي تتناسب مع وجودها في الكتاب العزيز. ولعلك لا تجد اكثر من دراستين اختصتا بهذه الظاهرة الكريمة وهما:

الدراسة الأولى: بعنوان (أسرار التكرار في القرآن) لتاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى، من أعلام القرن الخامس الهجري، حقق الكتاب عبد القادر أحمد عطا. والكتاب بصورة عامة جيد في محتواه، دقيق في تلمس تكرار الآيات، على اختلاف مواقعها في السور، وقد اتبع المؤلف منهجاً واضحاً، إذ اعتمد على ترتيب السور كما هي في المصحف، فيورد السورة وآية منها ويقول: إنها اعيدت وكررت سورة كذا، ويعطي الآية المكررة، وهكذا تناول الغالب من سور القرآن على النحو، وعلى سعة ما تناول الكتاب من آيات متكررة ظلت هذه الظاهرة اكبر من الجهد الكريم الذي اهداه لنا تراثنا الخالد.

الدراسة الثانية: قام بها د. محمود السيد شيخون، تقرب في عنوانها الدراسة الأولى إذ سماها بـ(أسرار التكرار في لغة القرآن). وهذه الدراسة ليست في عنوانها، فقد تحدث المؤلف في اكثر من نصف الكتاب عن التكرار عند العرب في حين خص عنوانه بالقرآن. وعلى أية حال، فقد قامت هذه الوريقات ببيان بعض طرائق أو مظاهر التكرار في القرآن الكريم رغبة منها في التماس اسبابه، ولطائفه. وقد واجهت بعض الصعوبات الفنية تبويب هذه المظاهر، إذ ان الآية الواحدة تحمل عدة طرائق من التكرار،

(١) سيصدر قريباً على مطابع بيروت، ان شاء الله تعالى.

(٢) ظ: الصناعتين: العسكري، ١٩٤، العمدة: ابن رشيق القيرواني، ٧٣/٢، المثل السائر: ابن الأثير، ٧/٣.

(٣) يقول ابن الأثير: (واعلم ان هذا النوع من مقاتل علم البيان، وهو دقيق المأخذ) المثل السائر: ٧/٣.

وبالإمكان إعادة الآية ودراستها مرة بعد أخرى تحت مظاهر مختلفة، وعليه فقد سلك منهجاً يقوم على دراسة فنية التكرار في الآية، ثم توجيه النظر إلى مزيتها في التكرار وما حملته من سمات تعبيرية من غير ان أقسم هذه الدراسة على فصول أو مباحث وإنما جعلتها قسماً واحداً، وقدمت لها بتمهيد بينت فيه التكرار لغة واصطلاحاً، فضل عن الدلالة مادة (كرر) واستعمالها لها في القرآن الكريم.

وقد أفادت هذه الدراسة من مصادر مختلفة منها كتب اللغة والتفسير، وعلم القرآن.

وبعد... فإن غاية هذه الدراسة الإفادة من منبع السحر والبيان كتاب الجيد، وخدمة لغته الكريمة وهما غاية لكل باحث، فإن وفقت فله الحمد والشكر أولاً وآخراً وإلا فحسبي أنني حاولت ذلك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

التمهيد :

التكرار .. لغة واصطلاحاً

التكرار : مصدر للفعل الثلاثي الصحيح المضعف (كَرَّرَ)، وَكَرَّرَ عَلَى الشَّيْءِ يَدُلُّ كَرّاً، وَكَرَّوْا، وَتَكَرَّرَ (بالفتح) أي رجع عليه مرة بعد أخرى (١).

ويروى ان أعرابياً ألح عليه بالسؤال فقال: (لا تُكْرِرْ كِرُونِي، أَرَادَ لَا تَرْدِدُوا عَلَيَّ السُّؤَالَ فَاغْلُظْ) (٢).

ويبدو ان التكرار (بكسر التاء) اسم للكُرِّ، وتكرار (بالفتح) مصدر للكر. جاء في تاج العروس: (قال أبو سعيد: الضرير، قلت لأبي عمرو: ما بين تَفْعَالٍ وَتَفْعَالٍ؟ فقال: تَفْعَالٌ (بالكسر) اسم، تَفْعَالٌ (بالفتح) مصدر) (٣).

ومن المجاز قولنا: (ناقاة مُكْرَرَةٌ: تحلب في اليوم مرتين) (٤). وكأنها هي تعاود ارجاع الحليب مرة بعد أخرى.

نخلص من ذلك ان دلالة (كَرَّرَ) تدل على ترديد الشيء واعادته مرة بعد أخرى والتكرار في الاصطلاح: (دلالة اللفظ على المعنى مردداً) (٥) والمقصود بذلك إعادة الكلام مجدداً بصورة تطابق، أو تكاد تطابق الهيئة الأولى التي ذكر فيها، وبأسلوب آخر. يمنح التكرار تجديداً للدلالات الألفاظ بطرائق مختلفة وسياقها في الكلام، ويتضح ذلك من خلال تقسيم ابن الأثير للتكرار على قسمين:

الأول: تكرار باللفظ والمعنى ومثاله قولك للقادم: (أسرع، أسرع).

(١) ظ: لسان العرب : مادة (كَرَّرَ).

(٢) لسان العرب : ادة (كَرَّرَ).

(٣) تاج العروس مادة (كَرَّرَ).

(٤) اساس البلاغة : مادة (كَرَّرَ).

(٥) المثل السائر: ٧/٣.

الثاني: تكرار بالعنى من دون اللفظ ومثاله قولك لأحد ما (أطعني ولا تعصني) (١)
فالمطابقة حصلت في المثال الأول، وكادت ان تكون في المثال الثاني، وكلا المثالين
يعطي في لفظه الثاني (أسرع، ولا تعصي) توكيداً للفظ الأول وهذا معنى التجديد
للكلام.

وعلى أية حال فإذا جاز للبحث ان يعرف التكرار فهو تجديد لدلالات الألفاظ،
بطرائق متعددة تتبع تناسبها مع سياقاتها المتنوعة التي وردت فيها.
واهم ما يلحظ على ظاهرة التكرار، اقترابها من مفهوم التوكيد اللفظي، وهذا
التقارب لا يلغي الفارق بينهما، فالتكرار أوسع دلالة من التوكيد؛ بل نستطيع القول: ان
التوكيد دلالة من دلالات ظاهرة التكرار، فضلاً عن ذلك فإن التوكيد مرتبط بالكلام
القريب منه، المتصل به، أما التكرار فلا يشترط فيه الاتصال بينه وبين الكلام السابق
عليه، إذ يصح ان يأتي منفصلاً عن السياق الأول الذي هو تكرار له، هذا من جهة، وهو
يوصف حينها بأنه توكيد، وانما يقال تكرار أفاد معنى التوكيد، والفرق واضح بين
المعنيين.

يقول الزبيدي: (وقد قرر الفرق بينهما (بين التوكيد والتكرار) جماعة من علماء
البلاغة ومما فرقوا بينها: ان التأكيد شرطه الاتصال، وان لا يزداد على ثلاثة، والتكرار
يخالفه في الأمرين، ومن ثم بنوا على ان قوله تعالى: ((فبأي آلاء ربكما تكذبان)) (سورة
الرحمن)، تكرار لا تأكيد (٢).

وبذلك يتبين ان التأكيد اعم من التكرار، وابلغ منه؛ لان التأكيد يقرر المعنى
الأول، بينما التكرار يؤسس معنى فيه من القوة في الدلالة ما ليس في التوكيد (٣).
ولعل من المفيد الإشارة إلى ان مادة (كَرَزَ) جاءت في القرآن الكريم في مواضع
سته (٤) منها ثلاثة مواضع على لسان الكفار واهل النار في الآخرة يتمنون الرجوع فيها
إلى الدنيا. قال تعالى: ((وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراء منا
كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من الناء)) (البقرة: ١٦٧). (٥)
يقول الطبرسي في معنى الكرة (أي العودة إلى دار الدنيا، وحال التكليف) (٦).
والآية الرابعة جاءت في سياق خطاب لبني إسرائيل، وبيان أمر فسادهم في الأرض
مرتين، وكيف تعاد لهم القوة والكثرة في المرة الثانية، قال تعالى: ((ثم رددنا لكم الكرة
عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً)) (الإسراء: ٦).

(١) ظ: المثل السائر: ٧/٣.

(٢) تاج العروس: مادة (كَرَزَ).

(٣) ظ: البرهان في علوم القرآن: ١١/٣.

(٤) المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم: مادة (كَرَزَ).

(٥) ظ: الآيتين الشعراء: ١٠٢، الزمر: ٥٨.

(٦) مجمع البيان: ٢٥١/١، ظ: تفسير أبي السعود: ١٨٧/١، ٢٥٣/٦.

والآية الخامسة جاءت على لسان من خسر دنياه ورأى في رجعتيه وعودته إلى الآخرة عودة خاسرة أيضاً. قال تعالى: ((يقولون أننا لمردودون في الحافرة * انذا كنا عظاماً نخرة * قالوا تلك إذا كرة خاسرة)) (النازعات: ١٠، ١١، ١٢).

والموضع الأخير الذي وردت فيه مادة (كَّرَزَ) في القرآن الكريم هو سورة الملك في سياق بيان عظمته تعالى في خلق السموات، وتحدي خلقه في ان يجدوا اختلافاً أو فارقاً في سمواته على تعدد طبقاتها. قال تعالى: ((ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير)) (الملك: ٤).

قوله تعالى: ((كرتين)) أي رجعتين أخريين في ارتياد الخلل، والمراد بتثنية

التكرير والتكثير، كما في لبيك وسعديك، أي رجعة بعد رجعة وان كثرت (١). نخلص من خلال ما عرضناه لآيات مادة (كَّرَزَ) في القرآن الكريم إلى إنها اتفقت في إعطاء معنى واحد للتكرار وهو الرجوع أو الإعادة، وهو ما تقرر في معنى التكرار في اللغة والاصطلاح. وسوف نعرض لبعض مظاهر التكرار التي نتبين فيها أبعاداً دلالية للآيات المكررة تنبع من سياقها الواردة فيها.

من مظاهر التكرار في القرآن الكريم

أول ما سنعرض له من ظواهر التكرار في القرآن، التكرار القائم على أساس الاختلاف في الألفاظ بين الآيات المتشابهة وهو ما نجده في قوله تعالى: ((واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبجون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم)) (البقرة: ٤٩).

واعيدت الآية مرة أخرى في الأعراف باختلاف بسيط حيث ابدل قوله ((يذبجون)) بـ ((يقتلون)). قال تعالى: ((واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم)) (الأعراف: ١٤١).

وكررت الآية نفسها في سورة إبراهيم كما جاءت في البقرة، إلا إنها عطف لفظ يذبجون على ما سبقها من الكرم. قال تعالى: ((واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبجون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم)) (إبراهيم: ٦).

يظهر من خلال ذلك ان الآيات متشابهة والاختلاف بينهما يكمن فيما يلي:

أ- ان آية البقرة جاءت بلفظه (يذبجون).

ب- آية الأعراف استعملت (يقتلون).

ج- آية إبراهيم استعملت (ويذبجون).

وخير ما يدلنا على لطائف التكرار في الآيات هو معرفة سياقها في كل من السور الثلاث، وعليه فآيتا البقرة والأعراف تكاد تتقاربان في ترك العطف مع ((يذبجون))، ((يقتلون)) ولكنهما يختلفان مع آية إبراهيم في استعمال العطف (ويذبجون)، وسياق

(١) تفسير أبي السعود: ٤/٩، ظ: الكشاف: ٥٧٦/٤، البرهان: ٨/٣.

أسرار التكرار في القرآن. ما في هذه السورة (يعني البقرة والأعراف) من كلام الله تعالى، فلم يرد تعداد المحن عليهم، والذي في إبراهيم من كلام موسى (ع)، فعدد المحن عليهم، وكان مأموراً بذلك في قوله: ((... وذكرهم بأيام الله...)) (إبراهيم: ٥) (١).

وتعداد المحن في هذه الآية تقوم به (الواو العاطفة) إذ ان ترك العطف في كل من البقرة والأعراف جعل من جملة ((يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم)) أو ((يقتلون أبناءكم)) تفسيراً وبياناً لقوله تعالى: ((يسومونكم سوء العذاب)) (٢).

في حين ان إضافة الواو في إبراهيم أعطت للجملة الثانية دلالة أخرى، وهي ان عذاب بني إسرائيل يكون بالتذبيح وبغيره من أنواع العذاب الأخرى، لذلك نص الطوسي رحمه الله نقلاً عن الفراء: (ان معنى الواو انه كان يمسهم من العذاب غير التذبيح، كأنه قال: يعذبونكم بغير الذبح) (٣) فضلاً عن الذبح.

هذا من جهة الفرق بين العطف في أية إبراهيم وبين تركه في البقرة والأعراف. ومن جهة أخرى ثمة فرق بين آيتي البقرة والأعراف في استعمال ((يذبحون)) مرة، و((يقتلون)) مرة أخرى، على الرغم من دلالة كل منهما على المبالغة، وهذا الفرق يتضح من اصلهما اللغوي، فالذبح (قطع الحلقوم من باطن النصيل)، وهو موضع الذبح من الحلق) (٤).

في حين ان القتل (إزالة الروح عن الجسد كالموت، ولكن إذا اعتبر بفعل المتولي لذلك يقال قتل، وإذا اعتبر بفوت الحياة يقال موت ((... أفان مات أو قتل...)) (آل عمران: ١٤٤) (٥).

ومعنى ذلك ان القتل أوسع دلالة من الذبح؛ لان الذبح طريقة من طرائق القتل ومن اطرف من استدل على ذلك الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ) في تعليقه على قوله تعالى: ((ولا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مقل ما قتل النعم)) (المائدة: ٩٥).

يقول: (انه تعالى ذكر لفظ القتل دون الذبح والزكاة، إذ كان القتل اعم هذه نماظ، تنبيهاً أن تفويت روحه على جميع الوجوه محظور) (٦). إذا مجيء لفظه (يقتلون) في الأعراف يعطي جانباً جديداً في الدلالة حول قصة بني إسرائيل، ولعل المعنى يكون -والله اعلم- انه تعالى انعم عليهم ما هم من تعذيب آل فرعون لهم بالذبح مرة وبالتقتيل الذي يشمل طرائق من العذاب مزدي إلى الموت مرة أخرى.

(١) أسرار التكرار في القرآن: ٢٧.

(٢) ظ: مجمع البيان: ١٠٥/١، الكشاف: ٥٤٠/٢، الجامع لاحكام القرآن: ٢٨٤/١، تفسير أبي السعود: ١٠٠/١، ٢٦٨/٣.

(٣) تفسير التبيان: ٢٧٥/٦، ظ: مجمع البيان: ٣٠٤/١، مفاتيح الغيب: ٨٥/١٩.

(٤) لسان العرب: مادة (ذبح).

(٥) معجم مفردات غريب القرآن، مادة (قتل).

(٦) معجم مفردات غريب القرآن، مادة (قتل).

وإذا ما قرنا دلالة الاختلاف بين ((يذبحون)) و((يقتلون)) إلى دلالة العطف في ((يذبحون)) لوجدناهما متعاضدتين ومنتظمتين معاً كل واحدة منهما مصداق للآخرى، مما يوحى بأعجاز النظم في القرآن العظيم -والله أعلم بالصواب-.

ومن التكرار قوله تعالى: ((وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين)) (البقرة: ٥٨).

وكررت الآية بطريقة تختلف عن سابقها. قال تعالى: ((وإذا قيل لهم اسكنوا هذه القرية واكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطيئاتكم وسنزيد المحسنين)) (الأعراف: ١٦١).

وقبل ان نبين الفرق بين الآيتين نعرض لسياقهما ونقول: ان الآية الأولى جاءت سياق تعداد نعم الله تعالى على بني إسرائيل، في حين ان أية الأعراف جاءت في سياقات تذكير بني إسرائيل بالنعم، كذلك، ولكن مع هذا نجد فيها تقريرهم وتأنيبهم لما صدر عنهم بعد كل نعمة (١)، واصرارهم على معاودة المعاصي لعدم اتعاضهم، فبعد ان ذمهم تعالى من فرعون وجنوده، وورثهم مشارق الأرض ومغاربها، طلبوا من موسى (ع)، ان يجعل لهم الهة صنماً كما عند غيرهم من الوثنيين، وهكذا نجد في سياق الآيات (٢) في الأعراف حوادث جديدة عن ضلال بني إسرائيل لم تذكرها أية البقرة، وعليه فكان تأنيبهم وتوبيخهم فيها ظاهراً والله أعلم.

وبناءً على الفرق الظاهر بين السياقين نستطيع ان نحدد بعضاً من معالم الاختلاف بين الآيتين.

أ- بدأت أية سورة البقرة بقوله تعالى ((وإذ قلنا)) ناسباً القول تعالى لنفسه، في حين بنى الفعل للمجهول في أية الأعراف ((وإذ قيل لهم)). ولعل ذلك يرجع إلى أسلوب القرآن العظيم فهو (يسند الفعل إلى الله سبحانه في مقام التشريف والتكريم، ومقام الخير العام، والتفضيل، بخلاف الشر والسوء، فانه لا يذكر فيه نفسه تنزيهاً له عن فعل الشر، واردة السوء) (٣). وعليه فالآية في الأعراف في سياق التقرير والتأنيب لا يناسب ان يبدأ القول فيه منسوباً إلى الله تعالى يقول السامرائي: (فبنى القول للمجهول في الأعراف ولم يظهر الرب تعالى نفسه لانهم هنا لا يستحقون هذا التشريف) (٤). وبهذا يظهر ان كل هيئة للتعبير ترجع إلى تناسبها الدقيق مع سياقها.

ب- قال في البقرة: ((ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً)) وفي الأعراف أبدل ((ادخلوا)) بقوله ((اسكنوا)) ثم عطف الأكل فيها على السكن بالواو ((وكلوا))

(١) ظ: التعبير القرآني: ٢٧٧.

(٢) ظ: الآيات التالية في سورة الأعراف: ١٣٦-١٦٨.

(٣) التعبير القرآني: ٢٧٨.

(٤) التعبير القرآني: ٢٨٢.

فضلاً عن ذلك فقد ترك قوله ((رغداً)) في الأعراف، واثبته في البقرة. قال في الأعراف:
((وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم)).

أما علة العطف ((فكلوا)) بالفاء فراجع لتعلق الأكل في الآية على الدخول وتعلق أحدهما بالآخر تعلق الشرط بالجزاء، أما في الأعراف فلم يتعلق الأكل بالسكن تعلق الشرط بالجزاء فعطف بينهما بالواو. يقول الرازي: (كل فعل عطف عليه شيء وكان الشيء بمنزلة الشرط، وذلك الشيء بمنزلة الجزاء، عطف الثاني على الأول بالفاء دون الواو كقوله تعالى: ((وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً)) فعطف ((كلوا)) على ((ادخلوا)) بالفاء، لما كان وجود الأكل منها متعلقاً بدخولها فكأنه قال: ان دخلتموها اكلتم منها، فالدخول موصل إلى الأكل، والاكل متعلق بوجوده بوجوده، يبين ذلك قوله تعالى في الأعراف ((وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم)) فعطف ((كلوا)) على قوله ((اسكنوا)) بالواو دون الفاء لان اسكنوا من السكن وهي المقام مع اللبث، والأكل لا يختص بوجوده بوجوده) (١).

فضلاً عن ذلك ان العطف بالفاء يفيد التعقيب، ولما كان الدخول حالة منتهية تنقضى بسرعة فعقب عليها الأكل (بالفاء) لتبعيته. أما السكنون فحالة ممتدة مستمرة فيكون الأكل معها لا عقبها حالاً فناسب عطف الأكل (بالواو) على وبمعنى آخر ان السياق عطف (كلوا) على (اسكنوا) بمشاركتها زماناً، بخلاف الدخول فانه مقدم على الأكل ولذلك قيل هناك فكلوا) (٢) إذاً فالتزامن بين السكن والأكل يوجب العطف بالواو، بينما التعاقب في الزمن بين الدخول والأكل ناسبه العطف (بالفاء) - والله اعلم بالصواب -.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فانه تعالى صرح بقوله ((رغداً)) في البقرة لمناسبتها تعداد النعم على بني إسرائيل، بينما ترك إثباتها في الأعراف ذلك حال التوبيخ، والتقرير لهم، فكان الإثبات والحذف في الكلمات يتبع دلالات السياق ومعانيه (٣).

ج- قال في البقرة: ((وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة)) في حين آخر السجود وقدم القول في الأعراف ((وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً)).

ومن الملفت للنظر ان بعض المفسرين أهمل دلالة التقديم والتأخير في الآيتين (٤) لعدم تناقضهما واخلالهما بالسياق، ولعل ذلك يكون مقبولاً لو ان السياق لم يفدنا في شيء ندمجه، وعليه فربما تقديم السجود في البقرة، يتناسب مع لفظة ((ادخلوا)) (فبين كيفية الدخول) (٥) يحال السجود، بينما لم يناسب ذلك مع قوله ((اسكنوا))

(١) مفاتيح الغيب: ٤/٣.

(٢) تفسير أبي السعود: ٢٨٢/٣.

(٣) ظ: التعبير القرآني: ٢٨٢.

(٤) ظ: الكشاف: ١٧٠/٢، مفاتيح الغيب: ٢٥/١٥، تفسير أبي السعود: ٢٨٢/٣.

(٥) أسرار التكرار في القرآن: ٢٨.

والله اعلم. وقد يكون اختلاف السياق في الآية الأولى عنها في الأعراف أدى إلى ذلك، يقول: د. فاضل السامرائي: (وقدم السجود في سورة البقرة على القول لسببين والله اعلم: الأول، لأن السجود اشرف من القول لأنه اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فناسب مقام التكريم. والثاني، لان السياق يقتضي ذلك فقد جاءت هذه القصة عقب الأمر بالصلاة. قال تعالى: ((واقيموا الصلاة واتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين)) (البقرة: ٤٣). فناسب وهنا تقديم السجود لاتصاله بالصلاة والركوع، وكلا الأمرين مرفوع في سورة الأعراف فاخر السجود) (١).

نخلص من ذلك ان دلالة التقديم والتأخير تصدر عن ملائمة دلالات الآيات بعضها مع بعض.

د- ومما يقرر اثر السياقات القرآنية وسطوتها على التراكيب الفنية فيها، قوله في البقرة ((نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين)) وفي الأعراف ((نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين)).

فعبّر في الآية الأولى عن الخطايا المغفورة بجمع الكثرة، بينما في الأعراف بجمع القلة من جهة، ومن جهة أخرى اثبت (الواو) العاطفة الدالة على العناية والاهتمام والتنوع في التكريم، وزيادة المحسنين، بينما حذفها في الأعراف، وجعل الكلام مستأنفاً في الأعراف ((سنزيد المحسنين)) وما ذلك إلا لزيادة التأكيد على مقام التكريم في أية البقرة، والتوبيخ والتأنيب في الأعراف (٢). والله اعلم.

وعلى ذلك نلاحظ معجبين التوافق الفني والسياقي بين آيات الكتاب العزيز الذي يشكل جانباً من جوانب اعجازه الخالد.

وقد ظهر من خلال سير الآية ان التكرار فيها متنوع؛ منه التكرار بلحاظ اختلاف الخطاب، ومنه التكرار القائم على اختلاف حروف العطف، فضلاً عن إثبات الكلمات مرة وتركها مرة أخرى، ومنه التكرار القائم على التقديم والتأخير، ومنه التكرار القائم على اختلاف بناء الألفاظ، وكل ذلك في أية واحدة.

ومن مظاهر التكرار في القرآن الكريم، التكرار القائم على اختلاف أدوات الأساليب العربية، كما نلاحظ في قوله تعالى: ((قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين * ولن يتمنوا أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين)) (البقرة: ٩٤-٩٥).

وتكررت الآية مرة أخرى في سورة الجمعة، وهي قوله تعالى: ((قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين)) (الجمعة: ٦-٧).

والظاهر من ان اليهود في أية البقرة زعموا ان الدار الآخرة لهم، وفي أية الجمعة زعموا الولاية لهم من الله تعالى من دون الناس، وزعم الأول أقوى من الزعم الثاني، لأن

(١) التعبير القرآني: ٢٨٣-٢٨٤.

(٢) ظ: أسرار التكرار في القرآن: ٢٨-٢٩، التعبير القرآني: ٢٨٤.

الولاية لله توصل للدار الآخرة (الجنة) وفي مقابل تكذيبهم نفي القرآن الكريم الزعم الأول ب(لن) لأنه أقوى، واكد لنفي المستقبل من غيرها من الأدوات، في حين اكتفى بنفي الزعم الثاني ب(لا) التي هي من دون لن في قوة نفيها، فضلاً عن افادتها العموم في دعواهم هنا اعظم من دعواهم هناك، لأن السعادة القصوى فوق مرتبة الولاية؛ لأن الثانية تراد لحصول الأولى، ولن ابلغ في النفي من (لا) فجعلها لنفي الأعظم (١) فاستعمال أدوات الأساليب العربية يتبع سياقها، ولما كان المطلوب في الآية الأولى نفي زعمهم الكبير الذي لا يخفى فيه الضلال استعمل (لن) لقوتها في النفي، بينما كان النفي ب(لا) في الآية الثانية مناسباً لزعمهم الآخر والله اعلم. وفي الآيتين لطيفة أخرى من لطائف التكرار وهي (لما كان الزمن في آية الجمعة عاماً مطلقاً، غير مقيد بزمن نفاه ب(لا) التي آخرها حرف إطلاق وهو الألف، ولما كان الزمن في الآية الثانية للاستقبال وهو زمن مقيد نفاه ب(لن) التي آخرها حرف مقيد وهو النون الساكنة، وهو تناظر فني جميل) (٢) ذل عليه سياقاً الآيتين الكريمتين.

من التكرار قوله تعالى في سورة الحج: ((فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد)) (الحج:٤٥). وجاءت الآية مرة أخرى بعد ثلاث آيات. قال عز وجل: ((وكأين من قرية أملت لها وهي ظالمة ثم أخذتها والتي المصير)) (الحج:٤٨).

فخص الآية الأولى بالهلاك والثانية بالإملاء في سورة واحدة وما ذلك إلا لاتصال الآيات بسياقها، فالآية الأولى جاءت (بذكر الإهلاك لاتصاله بقوله ((فأملت للكافرين ثم أخذتهم...)) (الحج:٤٤). أي أهلكتهم، والثاني بالإملاء لن قلبه ((ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده...)) (الحج:٤٧). فحسن ذكر الإملاء (٣) والخطاب في الآية الثانية وما قبلها موجه لقريش، وعليه جاء ذكر القرى التي أهلكت بعد الإمهال، وفي هذا تنبيه بأنه سوف يعذبون وان استعجلوا بالعذاب من جهة وطال إمهالهم من جهة أخرى، فالعذاب عليهم واقع فلا يغتروا بتأخيره عنهم (٤).

ونلاحظ فرقاً آخر بين الآيتين وهو: ان الأولى جاء العطف فيها ب(الفاء)؛ والثانية ب(الواو)، وهذا قائم على ان الآية (الأولى) وقعت بدلاً عن قوله ((فكيف كان نكير)) (الحج:٤٤). واما الثاني فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو واعني قوله: ((... ولن يخلف الله وعده وان يوماً عند ربك كالف سنة مما تعدون)) (الحج:٤٧) ((٥)) فهنا طريقة أخرى من طرائق التكرار تختلف في التعبير لاختلاف سياقها المتقدم، والله اعلم.

(١) البحر المحيط: ٣١١/١، ظ: أسرار التكرار في القرآن: ٣٢، الكشاف: ٥٣١/٤.

(٢) التعبير القرآني: ١٨٣.

(٣) أسرار التكرار في القرآن: ١٤٦.

(٤) ظ: البحر المحيط: ٣٧٩/٦.

(٥) الكشاف: ٦٣/٣، ظ: مفاتيح الغيب: ٤٦/٢٣.

ومن طرائق التكرار الأخرى قوله تعالى في آل عمران: ((قال رب انى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وأمراتى عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء)) (آل عمران: ٤٠). وتكررت الآية مرة أخرى في سورة مريم قال عز من قائل: ((قال رب انى يكون لى غلام وكانت أمراتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً)) (مريم: ٨).

وكلا الآيتين جاءتا فى سياق دعائى على لسان زكريا (ع) طالباً من الله تعالى ان يرزقه الولي الصالح، كما يظهر من سياق الآيتين، إلا ان ما يلحظ من اختلاف بينهما ان الآية الأولى جاءت عقب رؤية زكريا (ع) نعم الله تعالى وقدرته فى رزق مريم، فحرك ذلك زكريا فدعا الله تعالى بطلبه (١)، فى حين ان الآية الثانية جاءت فى سياق الحديث عن حال زكريا (ع) التى بدأت به سورة مريم.

والذى أريد ان اخلص إليه من ذلك ان ذكر زكريا فى آل عمران جاء أثناء الحديث عن مريم (ع)، فأنت ترى الآيات التى تسبق الآية وما بعدها تكمل الحديث عن مريم (ع)، وجاء ذكر زكريا (ع) جانباً من استكمال الحديث عن مريم (ع) (٢). أما فى سورة مريم فإنها قد تبنت من بدئها الحديث عن زكريا (ع) ولعل البدء فى هذه السورة بذكره يشعرنا باهتمام القرآن بعرض افتقاره إلى الله تعالى وشكواه من كبر سنه، وافتقاده الولي الصالح.

ارجع للاختلاف بين الآيتين واقول: لا بد ان القارئ لهما يكشف ان زكريا (ع) قدم ذكر كبره فى الآية الأولى واخر ما كان من أمر زوجه، فى حين انه فى الآية الثانية عكس الأمر وقدم حال زوجه واخر ذكر كبره، والسبب فى ذلك والله اعلم انه فى سورة مريم قدم كبره قبل ذكر عقر زوجه، وذلك بأن أبان ضعفه ووهن عظامه، وهذا اظهر دليل على تقدم سنه وكبره، ثم أعقب عليها بذكر حال زوجه، فهو بذلك أشار إلى كبره بالتلميح لا بالتصريح. قال تعالى: ((قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً، ولم اكن بدعائك رب شقياً * وانى خفت الموالي من ورائى وكانت أمراتى عاقراً فهب لى من لى لك ولياً)) (مريم: ٤-٥).

ولم يكتف السياق بذلك فاعاد ذكر حاله مؤخراً عن ذكر زوجه، وذلك لتنويع الكلام والتفنن فى إيراد من جهة، وموافقته للايقاع الموسيقى للفواصل التى سبقت وتلت فاصلة هذه الآية وهى (رضياً، سميأ، شينأ، سويأ، عشياً) وغيرها (٣).

ولعل جانباً آخر يحدد بعضاً من دلالات هذا التباين بين الآيتين، وهو أننا نجد فى سورة مريم عرضاً وافياً لحال زكريا وعلى لسانه بأسلوب الدعاء، ولما كان أهم مزايا أسلوب الدعاء، إظهار الفقر والحاجة لله تعالى، جاء ذكر زكريا (ع) لحاله مرة مقدماً على زوجه واخر حال زوجه مقدماً عليه، وهكذا يظهر شكواه وحاجته وخضوعه وتضرعه بحالهما الاثنى رغبة فى أجابته، وهو ما بشر به فعلاً والله اعلم بالصواب.

(١) ظ: الآيتين: ٣٧-٣٨ / آل عمران

(٢) ظ: الآيات: ٣٥-٤٥ / آل عمران.

(٣) أسرار التكرار فى القرآن: ٤٧.

ومن لطائف الاختلاف بين الآيتين انه قال في آل عمران: ((وقد بلغني الكبر)) أما في مريم ((وقد بلغت من الكبر عتياً)) فمرة بلغه الكبر، وأخرى هو يبلغ الكبر، وعليه فقد جعل (الكبر بمنزلة الطالب فهو يأتيه بحدوثه فيه، والإنسان أيضاً، يأتي الكبر بمرور السنين عليه) (١)، إلا ان تأخير المعنى الثاني بأن بلغ زكريا الكبر اكثر دلالة على حاله إذ بلغ أعلى درجاته وهو (عتياً) وهذا انسب لحال الإنسان الداعي استدراراً للإجابة (٢) والله اعلم.

ومن الآيات الأخرى التي نلمح فيها طريقة من طرائق التكرار، قوله تعالى: ((الله ما في السموات وما في الأرض وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير)) (البقرة: ٢٨٤). واعيدت الآية بسياق ثانٍ في المائدة. قال تعالى: ((ألم تعلم ان الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير)) (المائدة: ٤٠).

فتلاحظ ان الآية الأولى قدمت الغفران على العذاب بينما جاء العذاب، مقدماً على الغفران في الآية الثانية، والسياق يكشف عن سبب التكرار المختلف بالتقديم والتأخير، فأية المائدة تلت آية حكم (السارق والسارقة وعذابهما يقع في الدنيا، فقدم لفظ العذاب، وفي غيرها قدم لفظ المغفرة رحمة منه تعالى، وترغيباً للعباد في المسارعة إلى موجبات المغفرة) (٣) إذاً التقديم والتأخير في التكرار جاء لمقابلة بين كل آية وسياقها.

ومن لطائف التكرار قوله تعالى: ((ويوم ينفخ في الصور ففرع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين)) (النمل: ٨٧). وتكررت الآية بطريقة مختلفة في قوله تعالى: ((ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون)) (الزمر: ٦٨).

فعبّر في الآيتين عن ثلاث نفخات اختصت الأولى بالفرع، والثانية بالصعق أي الموت، والثالثة نفخة القيام وهي متوالية، ومسلسلة إحداها بعد الأخرى كما تأتي يوم القيامة (٤)، وكل نفخة مرتبة على الأخرى (فان الصعقة من الفرع وقد رتبت على النفخة الأولى) (٥) والنفخة الثالثة نفخة القيام بعد الموت (٦). واختار الكرمانى وجهاً آخر من أسرار تكرار الآية ان سورة النمل (خصت... بقوله (ففرع) موافقة لقوله: ((...))

(١) مجمع البيان: ٧٤/٢.

(٢) ظ: أسلوب الدعاء في القرآن الكريم: ٦٨.

(٣) أسرار التكرار في القرآن: ٤٦، ظ: الكشاف: ٦٣٢/١، مفاتيح الغيب ٢٣٠/١١، تفسير أبي السعود: ٢٧٣/١.

(٤) يعطي الراغب الأصفهاني لمادة صعق عدة معانٍ من بينها الموت. ظ: معجم مفردات غريب القرآن: مادة صعق، واتفق المفسرون على ان صعق في هذه الآية بمعنى مات، ظ: تفسير البيا: ٤٦/٩، مجمع البيان ٥٠٧/٧، مفاتيح الغيب: ١٢/٢٧.

(٥) يقول الزمخشري: قيل ففرع دون فيفرع لنكته وهي الاشعار بتحقيق الفرع وثبوته، وانه كان لا محالة له، ظ: الكشاف: ٣٨٩/٣.

(٦) الميزان في تفسير القرآن: ٤٠٠/١٥.

وهم من فزع يومئذ آمنون)) (النمل: ٨٩) وخصت بقوله (فصعق) موافقة لقوله: ((وانهم ميتون)) (الزمر: ٣٠) لان معناه (صعق) مات (١) .
 وسياق الآيات يساعد على قبول هذا المعنى، لكننا نميل إلى ان الاختلاف في التعبير بين الآيتين جاء نظراً لتوالي النفخات كما هي في الواقع واحدة بعد الأخرى، فضلاً عن ترتب كل واحدة منها على الأخرى والله اعلم بالصواب.
 ومن بين المظاهر الأخرى للتكرار في القرآن العظيم التكرار بالسورة الواحدة وهو اجلى المظاهر واوضحها. إذ تكرر الآية الواحدة كما هي من دون أي اختلاف بمرات عديدة، حتى ان ذلك يوظف في النفس التساؤل في الغاية منها وعللة تكرارها. واول ما يشار إليه في هذا المجال سورة الرحمن، وقد تكررت فيها آية: ((فبأي آلاء ربكما تكذبان)) إحدى وثلاثين مرة.

وتكرار الآية يوافق طبيعة هذه السورة الكريمة، إذ انه تعالى (عدد فيها نعماءه كل نعمة ليعرف موضع ما أسداه إليهم منها) (٢).

ومعنى ذلك انه عقب بعد كل نعمة من نعمه تعالى بإعادة الآية ((فبأي آلاء ربكما تكذبان)) قصداً إلى التقرير بالنعم المعدودة، والتأكيد في التذكير بها كلها، فكلما ذكر سبحانه نعمة انعم بها، قرر عليها، ووبخ على التكذيب بها) (٣) .

فالتقرير والتأكيد أول لطائف التكرار في السورة، فضلاً عن ذلك، فأنت تلحظ ان الآية المكررة جاءت ثماني مرات عقب تعداد عظام خلقه، ودقائق صنعه. وسبع مرات في الحديث عن جهنم وما فيها، وثمانى مرات أخرى في ذكر الجنة، وثمان آخر لذكر الجنة التي هي من دون الأولى، فهذه إحدى وثلاثين مرة (٤) ، وعلى ذلك فقد التفت الكراماني إلى ان تكرار الآية أثناء الحديث عن النار وما فيها جاء متناسباً لعدد أبوابها وهي سبعة أبواب، كما تناسب عدد أبواب الجنة وتكرار الآية عقبها ثماني مرات (٥) .
 ومن جانب آخر فإننا نجد في تكرار الآية بهذه الكثرة إيقاعاً موسيقياً منتظماً من خلال تكرار الآية نفسها من جهة، وموافقة فاصلتها لفواصل سورة الرحمن والتي انتهت فواصلها بالنون -في الغالب- والميم، وهي من الفواصل المتقاربة -والله اعلم بالصواب-

ومن التكرار في السورة الواحدة ما جاء في سورة الرسائل من تكرار قوله تعالى: ((ويل يومئذ للمكذبين)) إذ كررت الآية عشر مرات (٦) والتكرار في هذه السورة جاء

(١) ذهب بعض المفسرين إلى إنها ثلاث نفخات الأولى: نفخة الفزع، والثانية: نفخة الصعق والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين. ظ: مجمع البيان: ٢٣٦/٧، مفاتيح الغيب: ٨/٢٧.

(٢) أسرار التكرار في القرآن: ١٥٨.

(٣) الصناعتين: ١٩٤.

(٤) مجمع البيان: ١٩٩/٩، ظ: آمالي المرتضى: ١٢٣/١.

(٥) الآيات الثمانية الأولى من ١-٣٠، والسبعة من ٣١-٤٥، والثمانية في ذكر الجنة من ٤٦-٦١، والثمانية الثانية في الجنة التي دون الأولى من ٦٢-٧٨.

(٦) ظ: أسرار التكرار في القرآن: ١٩٨، مفاتيح الغيب: ٩٦-٩٧/٢٩، البرهان في علوم القرآن: ١٩/٣.

بعد ان ذكر الله تعالى أخباراً عن علامات يوم القيامة وحساب الجرمين، وخلقهم الإنسان من ماء مهين، وإبداعه في خلق الأرض، وضمها للإنسان حياً وميتاً. ورجع للحديث عن يوم القيامة، وما فيها من أمر جهنم. وحال الكافرين فيها مبهوتين لا يؤذن لهم بالكلام فيعتذرون، وتحدى الجرمين، وذكر عاقبة المتقين وحالهم بالجنة، وجزاءهم بالآخرة جزاء المحسنين، وعاد للحديث عن الجرمين وكيف يعصون أوامرهم تعالى، وهو بعد كل وصف وأخبار في هذه السورة يورد الآية متوعداً المكذبين (لأن كل واحدة منها ذكرت عقيب آية غير الأولى، فلا يكون التكرار مستهجناً، ولو لم يكن يكرر فإنه كان يتوعد في بعض من دون بعض) (١) فيظن انه توعدهم في تكذيب أخبار معينة من دون غيرها جاءت في نفس السور، لذا أجرى التوعد بالتكذيب لكل ما ذكر من أخبار ووصاف في السورة كلها، وليس على بعض منها من دون بعض.

بمعنى آخر ان المكذب (يلزمه الويل بالتكذيب بالذي يليه والذي قبله على التفصيل لا على الإجمال في انه لا يلزمه حتى يكذب بالجميع) (٢) وبهذا يتضح الترابط المعنوي بين الأخبار الواردة في هذه السورة، فمن كذب ببعضها استحق الويل كمن كذب بجملتها، وهذا المعنى أوضحه التكرار للآية والله اعلم بالصواب.

فضلاً عن ذلك فلا بد من الإشارة إلى ذلك التناغم الذي يحدثه تكرار الآية في السورة مما يؤدي إلى حالة توقظ الشاعر بالخوف، وتستفز النفس بالرهبة، لأنها توحى بالوعيد الأكيد والقادم في ذلك اليوم لا محالة والله اعلم بالصواب، ولنا ان نتصور جواً كهذا فيه ذكر لعلامات يوم القيامة وأحوالها يناسبه التكرار مناسبة تامة (لأن بسط الكلام في الترغيب والترهيب ادعى إلى أدراك البغية من الإيجاز) (٣).

وهذا واضح في هذه السورة وسورة الرحمن قبلها، لان إعادة القول وتكريره يدعو إلى تقرير الأمر وتثبيتته في النفس، فضلاً عن إظهاره وبيانه بأتم وأبلغ صورته والله اعلم. ومن التكرار في السورة الواحدة كذلك قوله تعالى في سورة الكافرون ((وقل يا أيها الكافرون * لا اعبد ما تعبدون * ولا انتم عابدون ما اعبد * ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا انتم عابدون ما اعبد * لكم دينكم ولي ديني)) (الكافرون: ١-٦).

فانك تجد انه (ص) كرر نفي عبادته لآلهتهم، ونفى عنهم، كذلك ان يعبدوا الله تعالى في أربع آيات.

ومن بين دلالات التكرار ههنا انه أفاد التوكيد (٤) بأبلغ طريقة، إذ ناسب بين الآية وفي هذا تحقير واستهجان للكفار الذين سألوا الرسول (ص) ان يتناوبا في عبادة الله مدة، وعبادة آلهتهم مدة أخرى، وبين بتهكم واضح ان ذلك لا يصدر إلا من نفوس استقر بها الشرك، وملك عنانها الإصرار عليه، ويكفي ان الصورة بدأت بوصفهم بالكفر.

(١) ظ الآيات (١٥، ١٩، ٢٤، ٢٨، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤٥، ٤٧، ٤٩ / المرسلات).

(٢) أسرار التكرار في القرآن: ٢١٣/١٠.

(٣) تفسير البيان: ٢٣٦/١٠.

(٤) أسرار التكرار في القرآن: ٢١٣/١٠.

نستنتج من ذلك ان هناك ملاءمة بين طبيعة السياق في الآية وبين أسباب نزولها (١) . والله اعلم بالصواب .

ثم أننا نلاحظ فرقاً بين الآية الثانية وتوكيده في الآية الرابعة . فالأولى نفت الفعل المضارع اعبد، بينما الثانية نفت اسم الفاعل (عابد)، وفي كلا النفيين دلالة حية متجددة . يقول أبو حيان الأندلسي:

(انه (ص) أولاً نفى عبادته في المستقبل لأن (لا) الغالب فيها انه تنفي المستقبل، قيل ثم عطف عليه ((ولا انتم عابدون ما اعبد)) نفياً للمستقبل على سبيل المقابلة، ثم قال ((ولا أنا عابد ما عبدتم)) نفياً للحال لأن اسم الفاعل العامل، الحقيقة فيه دلالة على الحال ثم عطف عليه ((ولا انتم عابدون ما اعبد)) نفياً للحال على سبيل المقابلة فانظم المعنى . انه (ص) لا يعبد ما يعبدون لا حالاً ولا مستقبلاً) (٢) فهو (ص) قد استبعد عبادتهم لله تعالى في الحال والمستقبل، ويمكن القول: انه شمل النبي للماضي أيضاً و(لكنه حذف لدلالة الأولين عليه) (٣) .

ثم انك ترى انه (ص) نفى عبادته مرة بالجملة الفعلية (لا اعبد) ومرة بالجملة الاسمية (ولا أنا) وهو في ذلك قد نفى الفعل مع دلالة في التجديد والحدوث، فضلاً عن نفيه للاسم مرتباً بمزيتة في الثبات والدوام، بمعنى آخر، ان نفيه (ص) للفعل يتجدد مع تجدد دلالة الفعل، في عدم عبادته غير الله تعالى، كما ان نفيه (ص) للاسم ثابت بثبوت الاسم ودوامه على عدم عبادته لغير الله تعالى . يقول الزركشي: (فالجملة الفعلية نفى لإمكانه، والاسمية نفى لاتصافه) (٤) ويجري هذا الاستعمال للجملة الاسمية والفعلية كثيراً في القرآن الكريم، فتراه يعبر بالفعل عن أمر يتجدد ويستمر، بينما يعبر بالاسم عما هو ثابت ودائم، والله اعلم بالصواب .

ولا بد من القول أخيراً: ان استعمال النفي وتكراره في هذه السورة القصيرة أربع مرات يقرر في النفس أسماً غايات هذا الدين واول أصوله وهو (التوحيد)، وقد جسدت هذه السورة بابلغ طريقة هذا المعنى . فضلاً عن ذلك فانك تجد في استعمال (لا) للنفي، وما يعطيه صوت الألف فيها من المد إطلاقاً غير مقيد لنفي كل معبود غيره فالله أعلم بالصواب .

وعليه فقد تلمسنا في هذا المظهر من التكرار أبعاداً دلالية تثمر عنها سياقاتها التي تجدد في النص سحره، وتثبت إعجازه .

ومن خلال ما سلف نخلص إلى ان القرآن الكريم جاء بمظاهر عديد من التكرار؛ منها ما هو قائم على الاختلاف في الألفاظ بين الآيات، ومنها ما هو مؤسس على التباين في التعبير، مرة بالتقديم والتأخير، وأخرى بالحذف والإثبات، ومنها ما هو قائم على

(١) ظ: آمالي المرتضى: ١٢١/١، مجمع البيان: ٥٥٢/١٠، تفسير أبي السعود: ٢٠٦/٩، الميزان: ٣٧٤/٣٠ .

(٢) ظ: مفاتيح الغيب: ١٤٥/٣٢-١٤٦، البرهان في علوم القرآن: ٢١/٣ .

(٣) البحر المحيط: ٥٢٢/٨ .

(٤) البرهان في علوم القرآن: ٢١/٣، ظ: أسرار التكرار في القرآن: ٢٢٦ .

الاستعمال المختلف لأدوات الأساليب العربية، ومنها ما يجيء فيه إثبات حروف العطف مرة. وتركه مرة أخرى أو تغييره مرة ثالثة، ومنها ما يقوم على التكرار المتشابه للآية في السورة الواحدة بعد سياقات مختلفة. ويمكننا القول بعد ذلك: ان هذه المظاهر من التكرار لها أغراض وفوائد نلاحظ بعضاً منها بإيجاز في النقاط التالية:

أ- ان تكرار الآية في سياقات مختلفة، ودلالات متجددة يعد أرقى ضروب البلاغة، واثر صور الجمال وقعاً في النفس الإنسانية، لأنها تلذ بجوية الكلام المتكرر، وتبحث عن دلالاته، وعليه فالتعبير عن الكلام الواحد في صور شتى وأساليب مختلفة يعني القمة في البيان، ولا أبين من كتاب الله تعالى نزل في أمة ديدنها البلاغة.

ب- ان التكرار يؤكد المعاني ويقررها في القلوب، فان ذكر الأشياء مرة بعد أخرى يوشج علائقها، ويؤكد صلاتها.

ج- ان التفتن بتكرار الآيات بتعابير مختلفة، اقرب ما يكون لتحيبه عند متلقيه، واثارة انتباههم، وإيقاظ نشاطهم، فيتواصلون معه ويتلذذون به. في حين تراه من جانب آخر (في غير القرآن والحديث) ابعده ما يكون، لاستيلاء الملل والضجر على النفس، فان الكلام المكرر بعفوية يرتقي بدلالات النص، بينما إذا تكلف تكرار الكلام خلق وبلي، وعزفت النفس عن متابعته.

نتائج البحث

نستطيع ان نوجز بعض النتائج التي كشفت هذه الدراسة عنها:

أ- ان ظاهرة التكرار في القرآن الكريم واسعة المعالم متعددة في التعبير عن المعاني المختلفة، ولذا فليس من اليسير الإحاطة بها بشكل متكامل.

ب- ان الآيات المتكررة ضمنت في نصها الكثير من مظاهر التكرار، وقد أشرنا إلى ان آية واحدة، قد تحمل العديد من مظاهر التكرار.

ج- ان أسرار التكرار ولطائفه لا تظهر للباحث إلا من خلال متابعته لسياقات الآيات المتكررة حسب ورودها في السور المختلفة.

د- مثل التكرار وجهاً من وجوه الإعجاز الفني في القرآن الكريم، بل لا ابالغ ان قلت: انه أول الوجوه وأكثرها دلالة من غيره...

الباحث

قائمة المصادر

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - أسرار التكرار في القرآن: تاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى (٥٠٠هـ)، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار بوسلامة - تونس ١٩٨٣.
- ٣ - أسرار التكرار في لغة القرآن: د. محمود السيد شيخون، ط١، م. ط القاهرة الحديثة - القاهرة، ١٩٨٣.
- ٤ - أسلوب الدعاء في القرآن الكريم: محمد محمود، رسالة ماجستير، ١٩٩٧.
- ٥ - إرشاد العقل السليم في مزايا القرآن الكريم (المشهور بتفسير أبي السعود): أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان (د.ت).
- ٦ - أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتب الحديثة، القاهرة (د.ت).
- ٧ - آمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد): الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٩٦٧.
- ٨ - البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، البابي الحلبي، مصر، ١٩٥٧ م.
- ٩ - تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، دار ليبيا للنشر، بن غازي (د.ت).
- ١٠ - التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، م. ط العلمية، النجف الأشرف، ١٩٥٧.
- ١١ - التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي، دار الكتب، جامعة الموصل ١٩٨٩.
- ١٢ - تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف المشهور بابي حيان الأندلسي، دار الفكر، ١٩٧٨.
- ١٣ - الجامع لاحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ط٢، دار التراث العربي، بيروت (د.ت).
- ١٤ - الصناعتين: أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد علي البجاوي، محمد الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية في القاهرة ١٩٥٢.
- ١٥ - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط٢، م. ط السعادة ١٩٩٥.
- ١٦ - الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. جار محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتب العربي، بيروت - لبنان (د.ت).
- ١٧ - لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار ص بيروت (د.ت).
- ١٨ - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، حققه د. أ. الحوفي، بدوي طبانة، ط٢، منشورات دار الرفاعي، الرياض، ١٩٨٣.
- ١٩ - مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، منشور دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان (د.ت). فضلا عن ط شركة المعارف الإسلامية ١٣٧٩هـ.

- ٢٠ - معجم مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، تحقيق: نديم مرعشلي، التقدم العربي، ١٩٧٢م.
- ٢١ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي ط٢، الحديث، القاهرة، ١٩٨٨م.
- ٢٢ - مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) الفخر الرازي، م.ط البهية، مصر (د.ت).
- ٢٣ - الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، ط٣، مؤسسة الأعلى بيروت- لبنان، ١٩٧٣.